قبل البدء ..

أود القول إن البردوني كان نسيجاً متكاملاً في شعره ونثره ومن خلال قراءاتي المتكررة له وجدت أن شعره يكاد يفسر نثره وأن نثره يكاد يفسر شعره ومثل هذا الاستنتاج يفضي بالضرورة إلى القول أن البردوني كان شاعراً لقضية وطنية أخلص لها كل الإخلاص حتى آخر رمق في حياته.

والمتأمل في الأثر الإبداعي والفكري للبردوني يلحظ واحدية الموضوع والهم مع تعدد الأبعاد والأجنحة ولكم أن تتأملوا عناوين ما صدر من أثره الإبداعي والفكري فهي بالضرورة قد توحي بالمضامين التي تشتغل عليها.

كنت قد قرأت نقداً يعيب على البردوني التحليق في فضاءات الأزمنة والغوص في التاريخ وذلك التحليق ظاهرة بارزة في الأسلوبية البردوني خاصة في جانبها النثري في عقدي السبعينات والثمانينات ثم تسللت إلى الجانب الشعري كما يتجلى ذلك في مجموعته(رواغ المصابيح)و(عودة الحكيم).

ومن خلال قراءاتي وتأملي وجدت أن تعامل البردوني مع التاريخ جاء وفق رؤية توافقية تستلهم الماضي لكي تعيد صياغة المستقبل كما انه قد لا يهتم كثيراً بقضايا الموضوعية والذاتية في التاريخ بقدر اهتمامه بنظرية التلقي(التي تعنى بتداول النصوص الأدبية وتقبلها ,وإعادة دلالتها) كما يتجلى ذلك في كتابه(قضايا يمنية) الصادر عام ١٩٧٨م والكتاب عبارة عن دراسات تعالج اشكالات اللحظة المفاجئة التي ارتكزت على عامل التغيير الثوري في عقد السبعينيات من القرن الماضي.

عبد الرحمن مراد

قراءة في كتاب(قضايا يمنية)

فلسفة التاريخ عند البردوني

■ ولأن البردوني كان يرى أن الثورة حدثاً تغييريا تمخض عن ثقافة تغييرية وأنها- أي الثورة- لم تأت من فراغ بل جاءت من امتلاء لكي تبدع الأملأ والأنضر ,لذلك نجده يغوص في أحداث التاريخ وقارئاً ومستنتجاً ومفلسفاً رؤية أو حدثاً كي يعيد صيغة اللحظة وفق نظرة اكثر طموحاً وأكثر تطلعا تتجاوز الحاضر لترسم معالم المستقبل، ذلك لأنه يرى أنه" وراءنا طريق طويل من التجارب ,فإذا كان الماضي من العصر قد هجم علينا قبل الاستعداد له ,فإن علينا أن نواجه الحاضر بنفس روح العصر والآته ,فطول احتمائنا بالماضي أو حفاظنا على الحاضر لا يدفعان عنا هجوم الغد ,فلكي لا يهاجمنا الغد كالأمس علينا أن نهاجم الغد من أوسع أبوابه ,لأن أمسنا من صنع غيرنا أما الغد فهو من صنعنا).

ويقول إن(التاريخ أعظم مكتشفات الإنسان لأنه عرف كل زمن بنفسه وعرفه بما قبله فشكل القدوة بكل عظيم والنفور من كل حقير) ويرى أن اتصال التجربة بالتجربة وامتداد الفكرة ,يجعل من الممكن قياس ما يحدث على ضوء ما حدث(لأن التاريخ قد عرض لنا ما تفجر من أحداث وما توالت من تغيرات ,فعرفنا إمكان الآتي من خلال معرفة الماضي).

والبردوني هنا يلتقي مع ابن خلدون في قوله(هناك ناموس شامل يفسر التطور البشري) ,ويتقاطع مع هيجل في قوله(إن التاريخ تحقيق الفكرة) وتأسيساً على هذا الطرح النظري ,فإننا عندما نحاول قراءة أحد موضوعات الكتاب الآنف ذكره وهو الموسوم(حين يحكمون وحين لا يحكمون) نراه يناقش قضية النظام والمعارضة وهي قضية حيوية أوحى بها الظرف الزماني حينها ومازالت بالغة الجدة في زمننا هذا ,وعند مناقشته هذه القضية مهد لها بالقول "أن التوتر صفة إنسانية بدأت من ولادة الإنسان" ,وفصل القول في التوتر الأحادي والتوتر الجمعي وقال(ولما زاد ركام التوتر بفعل التكاثف الاجتماعي المنعكس على النفس والتعقد الحضاري بالتدريج نشأ الحس بالسلطة كإشباع لجوع التوتر ,لأن السلطة هي المسيطرة على ملتقى الفنون) والفنون كما يراها تشكل متنفساً للتوتر الفردي ,ويرى أن السلطة أرقى مظهر اجتماعي، ثم يقوم بتحليل الأحداث التاريخية وانعكاساتها متخذاً من الهاشميين والأمويين مثالاً لذلك، يقول بعد سرد وتحليل(فحين حكم الأمويون كان الهاشميون وأتباعهم يندّدون بجور آل مروان لأنهم ,وصلوا إلى الملك(العضوض) بحيلة السياسة وقوة السيف ونخوة الجاهلية) إلى أن يقول (وعندما حكم العباسيون لم يتخلصوا من عيوب آل مروان لأن المهم عندهم انتقال الملك لا تغيير أشكاله وأساسياته).

ويخلص في قراءاته تلك إلى القول:
(وكأن الماضي ما يزال ممتداً في صميم تجربتنا المعاصرة وما حدث من التطور ,لا يتجاوز الأسماء والعناوين أو سطوح القضايا فحين تتحكم جماعة تتهم المعارضين بالتخريب والعمالة وطلب المستحيل تعويقاً للمكن ,وحين تنزل عن الحكم تمارس نفس عملية المعارضة السابقة وتتلقى نفس الاتهامات وتعطيها)..

وعلى نفس المنهج يطرق موضوع المسؤولية من حيث هي التزام أخلاقي وقيمي في موضوع آخر عنوانه(المسؤولية والسؤال) ويقول أن مصطلح(المسؤولية) من معجم العصر ,لكنها قديمة المدلول بقدم الحاكم والمحكوم وإن كانت هذه الكلمات لم ترتفع بصوتها الدال ,فقد كان اصلها في النفس البشرية ,كما كان مفعولها مؤثرا على الحاكمين قبل الحساب الشعبي وقبل ما نسميه بالرأي العام مستدلاً بما كان يحدث في المجتمعات البشرية الحضارية القديمة ,أو المجتمعات البدائية، وفي خلال تلك القراءات التاريخية المتأنية يصل إلى نتيجة مفادها القول بأن التهاون بالمسؤولية قد كان يؤدي إلى سقوط المسئول قبل أن يتحرك حس المسؤولية في شعور عن منظور سياسي.... أو يتقولب في تعبير. ولما أهل الإسلام توالت كلمة المسؤولية والتساؤل..) وضرب لذلك أمثلة متعددة ,نظرية أو تاريخية إلى أن اطمأن إلى القول(أن الحكم دائماً مسؤولية... والوطن دائماً سؤال).

> تعامل البردوني مع التاريخ جاء وفق رؤية توافقية تستلهم الماضي لتعيد صياغة المستقبل

وفي منحى آخر يقرأ سيرة أحمد حسن الطرماح بادئاً بالقول إن من عيوب التاريخ عامة انه تاريخ ملوكي لا يعنى بغير الملوك وقوادهم ووزرائهم ,وما تفجرت في عهودهم من ثورات وما أخمدوا من انتفاضات ,وقد يتصل تاريخ الملوك بتاريخ الأدباء ,لكن على أساس العلاقة بين الأدباء والحكم سواء كانت العلاقة عدائية أو ولائية وقلما نزل التاريخ إلى مناطق الفنانين) وبعد إسهاب عن الظروف الثقافية والسياسية التي أحاطت بشخص الطرماح وقف متسائلاً: لماذا كان الطرماح مستنيراً إلى درجة التفرد على تقارب ثقافته من زملائه؟ ويجيب على هذا التساؤل قائلاً:

(ربما كان السبب أن ثقافة زملائه كانت ثقافة معيشية يتلقونها مسائل جاهزة ,ويمارسونها مسائل جاهزة ,بلا تجربة أو استنتاج لأن مثقفي ذلك العصر كانوا يتعلمون اللغة لفهم ويفهون الفقه لممارسة القضاء بين المتخاصمين أو القسمة بين الورثة لأن تعليم الفقه والفقه الهادوي خاصة كان المؤهل الوحيد لمحكمة القضاء أو لالمحافظة.

لهذا كان يجد الكثير في تحصيل هذا العلم كوسيلة لمنصب القضاء أو المحافظة ,فمن أين يستنير ذهن المثقف بهذه الثقافات مادامت تلقياً آليا ,لكن لم يكن الطرماح هكذا وإنما كان يعتصر ما تلقى بالتأمل والمراجعة)

ويخلص البردوني إلى القول(أن الطرماح كان يتثقف بتفكير ويفكر بعقل مثقف) وهو برأيه هذا أراد إنتاج دلالة توحي أو تشير إلى ظاهرة ربما كان بزوغها عام ١٩٧٢م تاريخ كتابة تلك الدراسة أو قبل ذلك ,وهي إشكالية تربوية ما زالت تمد ظلالها على حاضرنا, وخلال سياق الدراسة ضرب بعض الأمثلة الدالة على مسؤولية المثقف الوطنية وجرأته على مكاشفة الواقع مهما كانت العواقب ,وأرى أن البردوني من خلال دراسته تلك أراد الإيماء إلى أدعياء الوطنية والثورية وتلقينهم بعض الدروس بدليل قوله في خاتمة دراسته(فالطرماح تاريخ يبحث عن كاتب أو كتاب يبحث عن قراءة.... وما دام قد ألهم فلن يعدم من يستلهم منه) وقد طرق إيحاء دلالة سياق الدراسة هذه في أثره الشعري ويتجلى ذلك في قصيدته(المحكوم عليه).

وعلى نفس الطريقة والمنهج جاء موضوع(الفرسان الثلاثة) ويقصد بالفرسان الثلاثة احمد عبد الوهاب الوريث ,وعبد الله العزب ,وأحمد المطاع ,وقد أراد من خلال تلك الدراسة القول أنه (إذا كنا نعرف نفوسنا ونجهلها ويعرفنا الآخرون ويجهلوننا ,فإننا نعرف الواقع العام ونجهله في نفس الوقت ,نعرفه كما تريد أهواؤنا ونجهله كما هو ,إذا لم يتفق مع رغباتنا.

ولعل هذا الواقع الجيد باتصاله وانفصاله يتجلى لفهمنا ويغمض أمام رؤيتنا فندعي معرفته لأننا نجهله.... ونجهله لأننا نتهم نفوسنا بمعرفته... وما كل من عرف نفسه عرفه الآخرون) وكنوع من تأكيد مذهبه هذا جاء موضوع(الحركات الوطنية ما لها وما عليها) وقد استهله بالقول أن أمتنا لم تدخل ضوضاء العصر في أول صحوتها وإنما أدخلها إلى صناع العصر من المستعمرين مستعرضاً الإطار النظري الذي أبدع هذه التحريات الجماهيرية من أول العشرينيات إلى منتصف الخمسينات من القرن العشرين ,ثم استعرض الحركات الثورية اليمنية بدءاً من الثورة على الأتراك على يد الامام يحيى حميد الدين وانتهاء بالحدث الأكبر

الذي تجسد في ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م مظهراً مزايا كل حركة وكاشفاً عن عيوبها ,ولعل أبعاد الموضوع تتجلى عند حديثه عن حركة ٤٨م حيث يقول:

(لم تعد حركة ٤٨م ملك حجة أو القلعة ,لقد أصبحت ملك التاريخ اليمني وملك أجياله ,لكل واحد حق الرأي فيها والكتابة عنها.... وكل واحد مسؤول عن رأيه, ومشروعية الرأي تقوم على عمق الاختيار وصحة الاستدلال ,ومجرد مناقشة هذه الحركة وتبين مالها وما عليها يدل على الاهتمام بها وتقدير صانعيها لأن إثارتها إحياء لها ,واستخلاص من تجربتها).

ويقول أنه (لا فضل للمثقفين الا بمقدار التأثير على الأغنية لتقبل التغيير لا في إرغامها بسلطة تجهلها بديلاً السلطة التي عرفها على تقتنع بنظام الإمام يحيى مخيراً بين نظامين وإنما كان هو النظام الوحيد الذي وجد فتعامل معه ولو كان ثم نظام معارض لعرفنا حسن اختيار الشعب أو سوء اختياره).

أراد البردوني القول من خلاله دلالة السياق أن الصدمة الحضارية الجديدة أصابت الإنسان بالذهول حتى تصورها قفزة على الواقع أو انقطاعاً عن الماضي فالحركات الوطنية لا ترقى إلى مراتب المقدس لكونها جاءت من فعل ثوري كان نتيجة مؤثر خارجي يقول:

(ليست القضية أشخاصا وإنما عمل وميدان وقد كان ينبغي أن يكون العمل في الشطر الشمالي من اليمن وميدانه مقر الخليفة المستبد حتى يكون للحركة إطار اجتماعي وتجذر في ارض الفكرة ومدد من الشعب الذي لا يقهر، قد يرى بعضنا أن الشعب كان جاهلاً ولجهله لا يقبل بالإمام يحيى بديلاً، ولكن أليس كل جاهل قابل للتعليم...؟ وكل شعب يتغير بفضل قادته الواعين).

وفي محاولة لفهم الذات اليمنية من خلال سياقها التاريخي جاء موضوع(العظيم المتهم) وقال في هذا البحث أن تجاهل الحقائق والوقائع لا يمحوها ويقول:

(إن الحكم على كل الحقائق والوقائع لا يخلو دائماً من حس شخصي حتى اصبح لكل القضايا ثلاثة وجوه:

١- كما هي في واقعها.
٢- كما هي من وجهة نظر الأهواء.
٣- كما تبدو من ظاهرها)

ورأى أن استخلاص الرؤية للحكم عليها يأتي من داخلها ومن نفوذ الرؤية إليها.

وقال(لعل شعبنا من أصعب الشعوب على الفهم لباطنيته التاريخية.. أو لعل الأفهام التي اتجهت إليه حملت عيون الهوى وأرادت أن ترى الواقع لهذا الشعب من مناظير الذات لموضعتها ذاتياً).

ورأى أنه (بعد أن فقدت اليمن أسباب حضارتها.... وقدرتها على تجديدها أو الاحتفاظ بها أصبح شريداً أو مكابداً لحياة الداخل... ثم اصبح تابعاً للعواصم التي تحضرت ,فتآزرت في نفسه عوامل الطموح ,وعوامل مركب النقص أمام المهمات ,فجمع بين نقص الوسائل وقوة وسائل الغير ,فلم يخضع لقوة العواصم التي حكمته.... ولا ظفر بالقوة الذاتية التي تدل عليه وتحميه, فكان عظيماً في طموحه النفسي ,عاجزاً عن الوصول إلى غاية أو عن تحديد غاية) ثم يحلل بعض الظواهر التاريخية لتأكيد الإطار النظري الذي ذهب إليه بدءاً من قصة أبي جعفر المنصور مع معن بن زائدة وانتهاء بحرب السبعين يوماً في النصف الثاني من القرن العشرين ,مستنتجاً أن الذات اليمنية لا تقبل القهر ولا يخضعها العطاء يقول(فلم يكن المال بكاف لاخضاعه ولا القوة بقادرة على قيادته ,لأنه يريد تحقيق الوجود ولم يجد الطريق إلى إثبات هذا الوجود).

ويقول(لهذا تكاثرت حساسية الشعب نحو التغيير واستيقظت رقابته على المسؤولين واتباع المسؤولين, لأنه ينتظر أكثر مما يتبدى تحقيقه..) ويرى (أن النظرة الرسمية إلى الشعب لم تتطور.... فما يزال المنظور الرسمي يداري بالبذل ويشتري السخط أو افتعاله بالمناصب والهبات على اعتبار انه شعب مرتزق وقد أثرت هذه النظرة على الشعب نفسه... فكما ترددت في الخمسينيات تهمة الشعب بالجهل أو العجز ترددت في الستينيات والى اليوم تهمة الشعب بالفوضوية).

ويخلص إلى القول(أن شعبنا عظيم يمكنه أن يحقق اكبر المنجزات ويتجاوب مع كل من يحقق مصالحه العليا... وكل ما يدل على تمرده أو فوضويته يدل على سوء الزعامة أو على نقص في الدراية بأحوال الشعب وأصول حكمه).

> عالج البردوني قضايا الإنسان من حيث القيم والمفاهيم والأخلاق ومحاولة فهم الذات وفق السياق التاريخي لا وفق الحدث الطارئ

وكمحاولة لنفي تهمة الارتزاق عن الذات اليمنية, والقول بعدم صدق ذلك الاتهام كون ظاهرة استغلال الحدث جاءت عن سوء قيادة وقلة دراية بطموحات الجماهير يقول (ولكي يحكم الحكام اقتصر اهتمامهم ببعضهم حتى وصل إليها التناقض الذي خلقوه بينهم وبين القيادة والجماهير) إلى أن يقول مصوراً ذلك الوضع الذي هيأ المناخ الملائم لتهمة الشعب(من أراد الاستغلال مارسه بلا سؤال ,ومن عصمه الحس الوطني عن الواقع تتبعته وسائل الاغراء ورفاهية الإعداد حتى يقع ,لهذا تساقط الكثير من المنتفعين في هذه المرحلة ولم يبق إلا اكبر العناصر نقاوة أو الذين حماهم الابعاد من السقوط, لهذا كانت أحاديث الجمهورية الثانية(١٩٦٧م- ١٩٧٤م) فلان لم يعمر داراً... يتعين لقيادة كذا... فلان لم يملك إلا داراً واحدة يعين محافظ كذا. فلان متعب يصرف له مائة ألف ريال.... الخ) ذلك المناخ السياسي والاجتماعي والقيمي الذي هيأته القيادة اخصب تربة استغلال الحدث عن الشعب كحدث طارئ وليس كقيمة أخلاقية متأصلة ,وقد حاول البردوني معالجة مثل هذه الظواهر من عدة وجوه.

كما يتجلى ذلك من العناوين التالية(بين الثورة والمشاكل الثورية) و(مجربون بلا تجربة)و(صنع التجربة ونقل التجارب) و(نهاية البين بين) وقد استخدم البردوني في كل تلك الأبحاث الاستدلال وقياس ما كان على ما هو كائن ,أو ما هو كائن على ما كان ليصل إلى حقيقة تاريخية ثابتة تفسر الحدث وتحاول انتزاع عامل التطور والحراك من بين ثناياه، وقد يلجأ في أحيان أخرى إلى (نظرية التلقي) (بوصفها نظرية نقدية تعني بتداول النصوص الأدبية وتقبلها وإعادة إنتاج دلالتها ,سواءً كان ذلك في الوسط الثقافي الذي تظهر فيه وهو ما يمكن الاصطلاع عليه بـ(التلقي الخارجي) أو (داخل العالم الفني التخيلي للنصوص الأدبية ذاتها) ويتجلى ذلك في عناوين الأبحاث التالية:

(الإدراك المأسوي في شعرنا اليمني)(سمات التحولات الوطنية على أدب الزبيري) (الزبيري معارضاً) (شاعر الوطنية الأول.... زاهر عطشان)(صور الأحداث في مرايا شعرية)(أدبنا والقضايا العالمية)(الحكيم الثالث- حزام مرشد الشبثي) ، (اليمنية وعزة الفقر عند أعشى همدان)

وسنكتفي من كل تلك العناوين بالعنوان الأخير ,لأنه يناقش تهمة الارتزاق التي تطرق إليها بأسلوب مغاير عن ما سبق طرحه في سياق هذا البحث مستفيداً من نظرية التلقي وإعادة إنتاج الدلالة.

وفي بحثة الذي أشرنا إليه(اليمنية وعزة الفقر عند أعشى همدان) رأى أن الأعشى- اعني أعشى همدان- كان يتجه بالمدح إلى الولاة اليمنيين بحكم القرابة الوطنية يقول: (وعندما مدح ابن الأشعث ولم يرضه ما أعطاه, تناوله بالتعنيف على البخل أمام القرابة:

مالك لا تعطي وأنت أمرؤ
مثر من الطارف والتالد
إن كنت من كندة في بيتها
فغن أخوالك من حاشد
نحن ولدناك فلا تجفنا
فالله قد وصاك بالوالد

(فلا تلحظ من هذا الشعر انكسار ولا ذل الاستجداء, وإنما هو يذكر حقوقه على يمني مثله ,جمعتهما غربة الدار والحنين إلى الديار ورأى على القريب المثري واجب البذل إلى ابن وطنه) إلى أن يقول(إلا أن الأعشى لمح واقع الأغنياء من منظور مثالي ,ومن ثنايا تجربته الشخصية ,فهو كثير الاعتزاز بالفقر لأنه الدليل على رفعة النفس والدليل على الكرم بما ملكت اليد.

على أن الإنسان عند الأعشى أغلى النفائس والثروات كما يقول:

تقول ربة بيتي وهي ضاحكة
أفلست ,قلت كريم الأرض أفلسها
هل النفائس غطت عار منتقص
دعي النفائس إن المرء أنفسها
لا يحرس المال أهليه وإن حرسوا
وليس لي ثروة كالكلب احرسها

ويعلق البردوني على الأبيات قائلاً:

(فالاعتزاز باليمنية وبشرف الفقراء أروع مزايا أعشى همدان لأن هذه الفكرة أصيلة في نفسه بدليل تكرارها والتعبير عنها في قوالب مختلفة الأحجام والنغم ,ومن العجيب أن الأعشى يفاخر بالفقر في زمن التهافت على الغنائم والزحام على الفتات).

إلى أن يقول:

وكان ابن قتيبة يتمثل بقول الأعشى في القنوع والترفع:

وأرى مغانم لو أشاء حويتها
فيصدني عنها غنى وتعفف

والغنى هنا امتلاء النفس ,لا انتفاخ الجيب بدليل فلسفة عظمة الفقر في هذه المقطوعة التي تفرق بين يمنين يفخرون بعظمة الفقر ,ويمنيين يتهافتون على تلويح العطايا كما يقول الأعشى:

من اليمانين الألى لم نقل
لكل مثر نحن من جنده
قالوا بلا مالٍ قفلنا نعم
هل يملك الليث سوى لبده
هل يقطن النسر سوى عشه
هل يسكن السيف سوى غمده
نردي غداة الروع أرواحنا
والعرض عند المال لم نرده

ويخلص البردوني إلى القول:

(لعل هذه الأفكار التي عالجها الأعشى ما تزال قائمة على اكثر من قدم,وما اجمل وأروع أن نجد في تاريخنا ما يماثل مغالبة عصرنا فإن خير ما في الماضي هو ما يكشف جوانب الحاضر ,ويدل على مجيئه منه أو انعكاسه عليه).

ولعل في ما أسلفت من توضيح عن المناخ لهذه التداعيات ما يغني عن التكرار هنا لأنني لا أريد استخلاص النتائج بقدر الكشف عن أسلوب المعالجة للظواهر السلبية التي عالجها البردوني وفق إطار نظري محدد ,أوحى لنا أن البردوني كان متطلعاً يبحث عن المستقبل في أحضان الماضي.

وقد دلت الأسطر السابقة أن البردوني عالج قضايا الإنسان من حيث القيم والمفاهيم والأخلاق ,ومحاولة فهم الذات وفق السياق التاريخي لا وفق الحدث الطارئ أو اللحظة ,كون الإنسان مجموعة من التراكمات الثقافية لا يمكن تعريفه وفق ردود فعل الحدث ,بل وفق منظور التطور والنشأة ودلائل التاريخ ,وهو بذلك يحاول رسم معالم الواقع الجيد مفكراً ومفلسفاً ومعلماً تربوياً.

وإذا كنا قرأنا جانباً من رؤية البردوني والمتمثل في الجانب القيمي والأخلاقي وفهم الذات فإننا في الأطر القادمة سنقرأه في الجانب النظري والثقافي ورؤيته التي يرسمها لهذا الإنسان.

تصادفنا في هذا المنحنى عدة موضوعات نقرأها على عجالة لنكشف من خلال تلك القراءة دلالة السياق وبعده الإيحائي التعليمي على اعتبار أن مهمة الكاتب تلتقي مع مهنة المعلم وتتقاطع معها ,وبعيداً عن كل الأطر النظرية فقد حتم الظرف التاريخي سواء منه السياسي أو الاجتماعي دوراً ريادياً وتعليمياً وصل في بعض أبعاده إلى التنظير ,والتنظير يعني هنا رسم معالم الواقع الجيد الثقافية والاجتماعية والسياسية وفق أسس تطلعية تبحث عن المستقبل من بين أشجان الماضي وأماني اللحظة.

الموضوع الأول الذي نقرأه في إطار هذا السياق يحمل عنوان(الأزمة الشعرية بين الوجه والقناع) وهذا الموضوع يناقش قضية الشكل في النص الإبداعي الشعري على اعتبار ما راج في تلك الفقرة من قول بأن تغيير الشكل أوعى إلى المعاصرة وأكثر تلبية للواقع الثوري الجديد ورأى البردوني في سياق موضوعه انه(عندما تفاقمت أزمة الشعر لضعف إنتاجه ,بحث الشعر عن أشكال لم تصدر عن قاعدة فلسفية واستبطان اجتماعي بدعوة انه أكثر معاصرة ,فكان هذا مجرد مغالطة للأزمة لا علاجاً لها ,فالفقر الشعوري في أي نص أوضح من أن تغطيه أشكال جديدة أو أشكال كلاسيكية, لأن الأزمة في نفس الفن الشعري الذي عجز عن انتزاع أسلوبه من جوانب المجتمع بكل ظواهره وخفاياه....).

ورأى أن أزمة الشعر (لا تكمن في الشكل بل في ظهور فنون أخرى نازعت الشعر مكانته في النفوس ,فأبطال المسرحية يمثلون فناً ,ويتحركون بفنية ويتقمصون أبطالا ومهما كانت المسرحية تافهة ,فإنها قد زاحمت الشعر في الإثارة الفنية حتى ولو بالحركة الدرامية والحوار المتراوح بين العنف والرقة على حسب المواقف, فكل الصور المتحركة من تلفزيونية وسينمائية ومسرحية وحركة ورقص كلها قد نازعت الشعر مكانته ومجده وسيطرته) ورأى أن تلك الظواهر التقنية المعاصرة طرف أساسي في الأزمة الشعرية المعاصرة والطرف الآخر هو سرعة الطباعة ولهاث الشاعر خلف دواليبها وقال أن الكثرة في الإنتاج تكون دائماً على حساب الجودة وبالتالي تكون طرفاً في الأزمة وقال(أن الطرف الثالث في الأزمة هو القارئ نفسه فقد اختلفت ثقافات القراء واتسعت كما تنوعت ميولاتهم السياسية والاجتماعية على حسب تلون المشارب الثقافية) ورأى أن القارئ لم يعد يرتضي الفن الوسط وإنما يحتاج إلى شعر يلذ بالإبداع ويدهش بغرابة التصور والصورة والكشف ورأى أن مجتمع القراء اليوم يريدون شعراً يعبر عن طموحاتهم ويلتصق بهمومهم على اختلافها ويحرك فيهم إنسان الداخل ولا يهم أي قارئ معاصر قضايا الجماليات الفنية إذا لم توظف في خدمة الجماهير ,وقال صحيح أن القيم الجمالية ضرورية لكنها وحدها لا تغني عن المضمون الاجتماعي والمدلول الإنساني القائم على فلسفة ولا تكفي عن الموقف الذي يصدر عنه الأديب، ورأى أنه لسعة آمال المجتمع القارئ ورقيه الذهني تضاعفت مسؤولية الشاعر فنياً ومضمونها وعندما جهلنا حقيقة الأزمة بحثنا عن أشكال تغطي وجه الأزمة وتلهينا عن معرفتها ومعالجتها.

وخلص البردوني إلى القول(ليست المعاصرة مجرد تعابير لغوية وإنما وجدان جماعي يمنح العبارة حيوية المعاصرة وسمة الفكر فكل التعابير تتصف بالحياة وتتسم بها بمقدار ما تضم من أحاسيس حياتية إبداعية, أما اللجوء إلى الشكل لذاته بدون رؤية بعيدة ,فهو مجرد قناع ,بل انه مغالطة لحقيقة الأزمة كما يدل أدب القرون الوسطى الذي تمظهر بمئات المحسنات والإيقاعات كتغطية مفلسة) وكان البردوني في سياق موضوعه قد ناقش بعض القضايا الشكلية وقارنها بما يضاهيها من قديم وحديث معاصر وضرب بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهب إليه والموضوع يوحي بمذهبه المنهجي الذي يفسر به اشكالات الحاضر باستدعاء الماضي أو البحث فيه للخروج بنتائج نظرية.

أما موضوعه(النظرية في الثقافة اليمنية) فقد حاول تأكيد حضور الفعل الثقافي عبر الأزمنة وخلص فيه قائلاً(إذن ليست اليمن بمعزل عن حوادث العالم القديم والحديث وثقافتها... وإنما هي قوية الصلة بثقافة الماضي والحاضر) وعلى نفس المنوال يأتي الموضوع الآخر الذي تحت عنوان(الأصول الأولى لمعاصرة الفكر اليمني) إلا أنه في هذا الموضوع يقرر حقيقة مفادها شدة سيطرة الماضي على الثقافة اليمنية إلى منتصف العصر وضآلة المعاصرة وبالأخص في الشكل التعبيري ويقول(وهذا يوصلنا إلى أن الأيديولوجية اليمنية محرومة من الفلسفة وإن قامت على أصول مختلطة من الفكر ,إلا أنها في ملامحها العامة تشكلت من النزوع الديني والحس الوطني ,ومحاولة المزج بين ما كان وما جد على العصر) ويقول في موضوع آخر بعنوان(الأفكار الواردة والأفكار المستوردة): (لابد أن نتلقى أفكارا ونعطي أفكاراً ما دمنا نحمل أدمغة تفكر ,لأن من يعرف يحب المعرفة في الآخرين ,والمهم حسن الاختيار وبعد حسن الاختيار, حسن الاستخدام ,والمهم أن نكتشف على ضوء الفكر مكامن قوتنا ومواطن ضعفنا ,وبمعرفتنا نفوسنا نعرف من أين نبدأ وكيف؟ لأن الواقع يتحرك من حولنا ومن تحتنا ,ولا نقدر على تسييره إلا بالفكر المثقف والاستزادة من التثقيف والتفكير ,لأن الواقع لا يبدو في أحلامنا له منابع ,وليست المعرفة الفكرية مقصورة على الكتب ومناهج الدراسة ,وإنما كل قضية وكل شيء يعطي فكرة ويلهم رأياً ,مادمنا نملك الملكة الفكرية والحس العلمي .

ومن يحب أن يعرف نفسه عرفها من تجارب غيره ومن وقائع تجربته ومن هذين المصدرين ينشأ الإنسان الكاشف المكتشف والمؤرخ والتاريخ والمفكر والمعبر) ويقول في مكان آخر(لا تكتمل الحياة الثقافية إلا بصنع الكلمة وصنع الأوراق التي تحملها والمطابع التي تخرجها والقارئ الذي يحسن كتابتها وهذا يستدعي وفرة المدارس وكفاءة المدرسين ووفرة الكتب محلياً ,فلكي يلتقي اليمن المعاصر وروح المعاصرة لابد من توفر حسن خلق الأشياء لكي يدلل الإنسان على قدرته وعلى أنه يتأثر لكي يؤثر ويأخذ لكي يعطي لأن الذي لا يصنع شيئاً لا يساوي شيئاً).

خلاصة ما يمكن قوله أن كتاب(قضايا يمنية) رصد القضايا المثارة في زمنه وحاول التأصيل لها من منظور النظرية الخلدونية القائلة:

(هناك ناموس شامل يفسر التطور البشري) وقد هدف البردوني من استدعاء المماثل من التاريخ إلى تحقيق الفكرة الهادفة إلى تجاوز عثرات الماضي والقادرة على صنع المستقبل قبل هجومه علينا من خلال وعينا وإدراكنا له وتصورنا لهيئته التي سيكون عليها قاعدة صنع المقدمات الواعية بالتراكم التاريخي بحيث تفضي إلى النتائج التي تستلهم الإيجابي وتتجاوز السلبي منها على اعتبار أن الإنسان خلاصة تجارب عديدة لا يمكنه الانقطاع عنها بل يمكنه الامتداد منها والإضافة إليها.